السياسة الصهيونية لاقتلاع الفلسطينيين

Morris, Benny; *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947 - 1949*, London: Cambridge University Press, 1988, 300 Pages + Index.

برز، خلال السنوات الثلاث الأخيرة، جيل جديد من المؤلفين والباحثين الاسرائيليين «المراجعين»، أي الذين يجرون مراجعة لتاريخ نشأة اسرائيل وتطوّر الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي والعربي ـ الاسرائيلي. ويتميّز هؤلاء ليس بالتخلي عن العديد من المقولات والاوهام فحسب، بل وبمناقضة الخرافات والاكاذيب التي ارتكزت عليها الدعاية الصهيونية لسنين طويلة. وهم اذ يفعلون ذلك، فان دوافعهم تتوزع بين الامانة التاريخية والقدرة على التعاطف مع الضحايا الفلسطينيين (واحياناً الاسرائيليين) الحقيقيين. وقد شملت هذه المجموعة، حتى الآن، ضمن من شملت، توم سيغيف الذي كشف الاضطهاد الاشكنازي (اليهودي الغربي) لزملائهم الشرقيين عند تأسيس الدولة، وسيمحا فلابان الذي فضح خرافات رئيسه حول حرب العام ١٩٤٨ بخصوص النوايا والقوة العربية المزعومة والاعتدال الاسرائيلي الزائف، وآفي شلايم الذي بحث في العلاقة الخاصة بين القيادة الصهيونية والملك عبدالله وبريطانيا.

ينتمي مؤلف كتاب «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين...»، بني موريس، الى تيار «المراجعين». وهو المراسل الدبلوماسي لصحيفة «جيروزاليم بوست» وحائز على شهادة الدكتوراه من جامعة كامبريدج. كما انه اختار التعرّض للمحاكمة العسكرية وتمضية عقوبة بالسجن، في خريف العام ١٩٨٨، بسبب رفضه تأدية خدمة الاحتياط في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين.

يمثّل هذا الكتاب ثمرة جهد بحثي طويل، ارتكز على الدراسة المطوّلة للملفّات الارشيفية الاسرائيلية والغربية، الخاصة والعامة، المنشورة وغير المنشورة. ويسير ذلك في الاتجاه ذاته الذي سلكه المؤرخون المذكورون آنفاً، أي الاستفادة من رفع الحظر الرسمي على قراءة الملفات السرية والحكومية التي امتدت بين ثلاثين وخمس وثلاثين سنة، منذ احداث النكبة. فقد تميز جميع الباحثين المراجعين بهذه السمة الهامة، أي بالقدرة على دراسة مواد رسمية لم تكن متوفرة لدى المؤلفين السابقين، ممّا يضفي مصداقية عالية، بالاضافة الى القيمة المعلوماتية، على كتاباتهم. وأشار موريس الى استخدامه لحوالى ١٢ أرشيفاً او مجموعة ارشيفات، ابرزها ملفات دافيد بن ـ غوريون، والملفات الخاصة بالحركات الصهيونية المختلفة، من حزب العمل ومبام وحركة الكيبوتسات وعصابات شتيرن وليحي وارغون؛ وذلك الى جانب ارشيف الدولة، والارشيف الوطني البريطاني، والاميركي، وملفات بلديات عدة في فلسطين.

لخّص موريس هدف كتابه بايجاز شديد، هو «دراسة كيف ولماذا غدا حوالى ٦٠٠ ألف الى ٧٦٠ ألف عربي فلسطيني لاجئين بين كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ وأيلول (سبتمبر) ١٩٤٩ ؟ ولماذا بقوا لاجئين في فترة ما بعد الحرب مباشرة ؟» (ص ١). ولعل القارىء يختلف مع بعض استنتاجات المؤلف حول النوايا الفعلية الصهيونية ـ الاسرائيلية، الاّ انه لا بد من ان يتوصل الى اقتناع بأن هذا الكتاب يشرح، بقوة، وبأدق التفاصيل، كيفية اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم ودوافع رحيلهم. وبالفعل، تقدمت الكتاب خرائط وقوائم عدّة توجز ظروف تشريد سكان حوالى ٤٠٠ قرية وبلدة فلسطينية تمّ تدمير معظمها. وتبين من الاشارات التي أضافها موريس ان خمس قرى فقط، من اصل ٤٠٠، تمّ اخلاؤها بأوامر عربية، وان حوالى ٢٠ بالمئة من الحالات الاجمالية